الحياة في ظل المستوى الثالث من حالات الطوارئ: العراق

قصة موظفة شابة في مجال الإغاثة الإنسانية تكافح الجوع والخوف على الخطوط الأمامية للصراع

برنامج الأغذية العالمي
WFP
wfp.org/ar

المستوى 3 للاستجابة لحالات الطوارئ

المستوى الثالث للاستجابة لحالات الطوارئ هو تصنيف الأمم المتحدة للأزمات الإنسانية الأشد حدة والأوسع نطاقاً. يعتمد قرار تحديد المستوى الثالث لحالات الطوارئ على عدة معايير: نطاق الأزمة، وحدتها، وتنوع الاحتياجات، وعدم توافر القدرات المحلية اللازمة للاستجابة للأزمة.

في وقت كتابة هذه القصة، كان برنامج الأغذية العالمي يستجيب لخمسة أزمات في المستوى الثالث وهي: سوريا، وجنوب السودان، وجمهورية أفريقيا الوسطى، والعراق، وتفشي مرض الإيبولا في غرب أفريقيا.

وبالإضافة إلى ذلك، يستجيب برنامج الأغذية العالمي حالياً لحالات الطوارئ في جمهورية الكونغو الديمقراطية، وأوكرانيا، والمناطق المتأثرة بهجمات بوكو حرام، وليبيا واليمن والقرن الأفريقي. وبصفة عامة، فالمجتمع الإنساني في العالم بأسره يشهد وقتاً عصيباً بشكل لا يصدق كما أن العجز في التمويل يهدد بتقليص الأنشطة في العديد من المناطق التي تعاني من التوتر الشديد.

بالنسبة للسكان الذين يخدمهم موظفو الإغاثة، لا يوجد مصدر آخر للدعم.

عندما كنا صغاراً، كنا نملك مزرعة صغيرة في نيويورك، بها عدد قليل من أشجار التفاح.

هذه المزرعة كانت تعطيني الإحساس بأن العالم سهلاً ومليء بالخيرات.

ولكن الحياة غالباً ما تعتمد على الحظ، مكان ولادتك، الظروف التي تتسبب في شقائك، وغيرها، كلها أمور أشبه برمية زهر!

الجزء 1:
توقف الاحتفال بالعيد

أنا فخورة بك جداً يا **ليلى**، كنت أثق إنك سوف تستخدمين لغتك العربية، إنه أمر مهم يربط ثقافتي أسرتينا.

وها نحن، نرسلك لنجعل العالم مكاناً أفضل، يا له من وقت مدهش سوف تمرين به.

ولكنني لن أكذب يا صغيرتي... أنا أشعر بالتوتر...

اسمي ليلى هلال. سوف أغادر إلى العراق في الصباح.

فقط حافظي على سلامتك، يا صغيرتي، مفهوم؟ أنا أحبك كثيراً.

أمي لا تقلقي، سوف يكون كل شيء على ما يرام.

وهذه ليست قصتي.

اسمي
خالد بشار...
إقليم سنجار، المنطقة التاسعة، كردستان العراق
لا أريد أن أبدأ
قصتي هنا، عذراً
دعوني أرجع للوراء.
بالتأكيد لا يجب أن نبدأ هنا.
ألم نرى جميعاً ما يكفي هنا؟
لم يحدث بعد..
سوف يحدث
هذا قريباً.
قريباً جداً.
رجاءً.
أبعد من ذلك.
هنا .. نعم .. ممتاز، دعونا نبدأ هنا،
عندما كنا ندرك ما يدور من حولنا.
تجمع في منزل أخي
خارج المدينة

هذه زوجتي، حكيمة .. بالطبع نحن الآن أكبر سناً عما كنا عندما التقينا أول مرة، ولكنها لا تزال شابة وابتسامتها جميلة كما ترون.
هذا ابني، ناصر، وابنتي، شيرين.
إنه يبدو كريماً اليوم، أخ طيب يسمح لأخته الصغري أن تلعب الكرة معه.
لا أحد يرغب في أن يعرفه الآخرون فقط من خلال معاناته، بل ينبغي أن يعرف العالم قصته أولاً. وهذا ما سأقوم به.
سميرة؟ هل كل شيء على ما يرام؟
لقد تلقيت رسالة نصية للتو من صديق في تلعفر...
ليت لحظة السعادة استمرت طويلاً.
داعش قادمون.
أغسطس/آب 2014

قرر أخي وابنته ومعظم الشباب الآخرين العودة إلى المدينة والقتال إلى جانب البيشمركة.

صاحبتك السلامة يا أخي.

ولكنني أرى في عيني حكيمة الخوف من أنه إذا بقيت وقاتلت من أجل كل شيء بنيناه فقد لا تراني مرةً أخرى أبداً.

عيناها تفطران قلبي.

اتصلنا بأصدقائنا في المدينة. كثيرون منهم يتجهون إلى جبال سنجار، لذا، نحن سنتوجه لذات المكان.

ناصر .. اذهب وانظر إذا كانت عمتك لديها حقائب إضافية يمكن أن تعطيها لنا، سوف نأخذ معنا أكبر قدر ممكن من الطعام يمكننا حمله.

ولكنني أشعر بالقلق من القيادة على الطريق. أخشى أن نتعطل بسبب تزاحم الناس.

لقد قررت أن نذهب مباشرةً إلى الجبال سيراً على الأقدام .. نترك السيارة ونتجنب الطريق، ونتتبع مسار الطيور!

لم أدّع أبداً أنني رجل حكيم.

مخيم دوميز 1. تم إنشاؤه قبل سنتين ويخدم 200,000 لاجئ من سوريا.

يبعد 170 كيلومتراً عن شرق سنجار.

عندما أتيت إلى هنا كان هناك بالفعل أكثر من مليون نازح منتشرين في شمالي العراق.
وللأسف هذا العدد يزداد يوماً بعد يوم.
في البداية تخيلت أن هذا قد يحدث معي. فقدان كل شيء، والدي ووالدتي، ومنزلي وأشجار التفاح.
العيش في ظل أعمال العنف والقتل والنزوح وما هو أسوأ.. أسوأ بكثير.
ولكن لماذا يجب علي أن أتخيل أن هذا يحدث لشخص أحبه حتى أهتم؟
ألا يكفي أنه يحدث لهؤلاء الناس؟ ألا يجب أن يكونوا على نفس القدر من الأهمية؟
لقد أتيت إلى هنا كي أكون إنسانة قدر المستطاع في مواجهة انعدام بالغ للإنسانية!
لكي أفهم.. لكي أرى رؤي العين.. لكي أشارك في تحمل المسؤولية.. لكي أرى الآخر في نفسي.
ونفسي في الآخر.

هذه هي أسرتنا في المنزل في قرية سنجار
لم يعد كذلك.
بضعة كيلومترات من سنجار في اتجاه الجبال.
بابا؟
لا يوجد منزل الآن.
اركض!
ومع خروج الكلمة من فمي...

أعلم أنه قد فات الأوان.
اركع على ركبتيك!
افصلهم عن بعض!
لا لا تأخذوا أطفالي.. أرجوكم!
تحاول حكيمة الآن التحدث بلغة عربية سليمة وتتجنب الكلام باللغة الكردية.
إنها لا تساوي شيئاً.
إنهم يأخذون كل شيء.
لا!
ناصر.. كن شجاعاً يا بني .. اعتنِ بأختك.
لا أعرف إذا كان البقاء على الطريق كان سينقذنا أم لا .

ولكن هذا
لم يبدد الشعور
بالندم الكبير بداخلي.
الجزء 2:
قصة أب
في اليوم التالي انضممنا
إلى الآلاف الذين
قصدوا الجبال.
لم يسأل أحدنا الآخر ما
الذي نعيش من أجله الآن
أو لماذا لا نزال نركض.
سمعنا أن البيشمركة
قد انسحبوا، قرية
سنجار الآن تحت
سيطرة داعش.
إنها مذبحة،
إذا لم تخرج الآن
فلن يكون هناك
أي أمل.
أشعر أن أخي
وابنته سميرة
قد ماتا.
نحن عالقون على
الجبل والأيام تمر،
حرارة الطقس لا
تحتمل، والناس
يتضورون جوعاً.
مات عدد من كبار السن والصغار
بسبب ارتفاع درجة الحرارة ومضاعفات
الجروح التي أصابتهم أثناء فرارهم.

في بعض الأحيان
أتخيل أنني أرى
ابني وابنتي بين
الأطفال الآخرين.

ولكن هذا في مخيلتي
فقط. إنني أحترق شوقاً
لرؤيتهم مرةً أخرى، تماماً
مثلماً أشتاق إلى الطعام.

شعرت أنا وحكيمة إننا نكاد نحترق
بسبب أشعة الشمس
الحارقة.

نحن نعاني بشدة ونشعر
أننا قد تم التخلي عنا.

وبعد أن مرت أسوأ
الأوقات، بدأ الطعام
يهبط علينا من السماء.

في اليوم السابق، أسقطوا
علينا منشورات تطالبنا
بالاستعداد لالتقاط الأغراض
التي سيسقطونها علينا.

لم ينسونا،
العالم يعرف
ماذا يحدث
لنا هنا.

هذا وحده يبعث
على الأمل. أن ندرك
أن حياتنا مهمة.

في تلك اللحظة،
وأنا مفعماً بالأمل،
سمحت لنفسي أن
أحلم بأنني سوف
أرى أطفالي مجدداً.

عندما عبرت البيشمركة
الخطوط الأمامية وبدأت
في إخلاء الجبل، اختار
كثيرون البقاء والقتال.

لكن حكيمة مريضة
فلم تتحمل درجة
الحرارة والحزن
الشديدين.

يجب عليها
الذهاب ويجب أن
أذهب معها، نحن
الوحيدان الباقيان،
لقد ذهب
الجميع.

ركبنا سيارة لبعض
الوقت، ثم نقلنا
بالمروحية إلى قاعدة
جوية شمال الجبال.

بعدما هبطنا ..
أعطونا كل ما يمكننا
حمله من الغذاء.

مر أكثر من شهر.
انتقلنا أنا وحكيمة إلى مدينة دهوك.
هنا، نحن نعيش بالكامل على مساعدات المجتمع الإنساني العالمي.
WFP
نحن نعيش مع عدة عائلات أيزيدية أخرى في مجمع سكني نصف مكتمل.
في وطني كنت مدرساً، ولكن وضعي هنا كلاجئ يجعل من المستحيل أن أعثر على أي عمل.
إننا نحيا نوعاً مختلفاً من الحياة من دون أطفالنا، ياله من شعور قاس على نفوسنا يومياً.

الظلام هنا حالك جداً في الليل، وننام في حاوية شحن بدون نوافذ.
♪♫♩
شيرين!!
.. خالد .. إنها شيرين!
تجيب حكيمة على الهاتف باللغة الكردية.
طفلتي؟! شيرين؟!
على الجهة الأخرى من الاتصال، بعيداً، ردوا باللغة العربية.
يمكنك استعادتها مقابل عشرة آلاف دولار أمريكي.. وإلا فلن ترينها مجدداً.
ماذا؟ كيف؟ كيف؟! كيف أستطيع دفع ذلك المبلغ؟
قل لي الآن؟

الشتاء على الأبواب.

الرجال الذين خطفوا أطفالي يتصلون كثيراً ونتحاور معهم، لعل وعسى.
بكاؤنا يقل مع الوقت .. ولكن حزننا يزداد ويكبر.

ولكن هذه هي المرة الأولى التي نتلقى فيها مكالمة من رقم مجهول.
كشف رقم المتصل
معطل

لم تستطع حليمة أن ترد على المكالمة، استطعت أنا بالكاد أن أرد
بابا؟

عندما سمعت صوت ابني شعرت كما لو أن الفجر أشرق بعد ليلة طويلة مظلمة.
ناصر!!
لقد هربت. أنا مع أولاد آخرين في الجبال.

ما هو الأمل؟ ماذا يعني أن تفقده؟ أو أن تستعيده؟
أنصت إلي، وفر بطارية هاتفك! أغلق هاتفك! ابق على قيد الحياة... فقط ليوم آخر.
عندما تغرب الشمس غداً، افتح هاتفك مرةً أخرى، سوف اتصل بك وقتها يا بني!
سوف نراك مجدداً يا ناصر هل تفهمني؟ سوف نراك مجدداً!

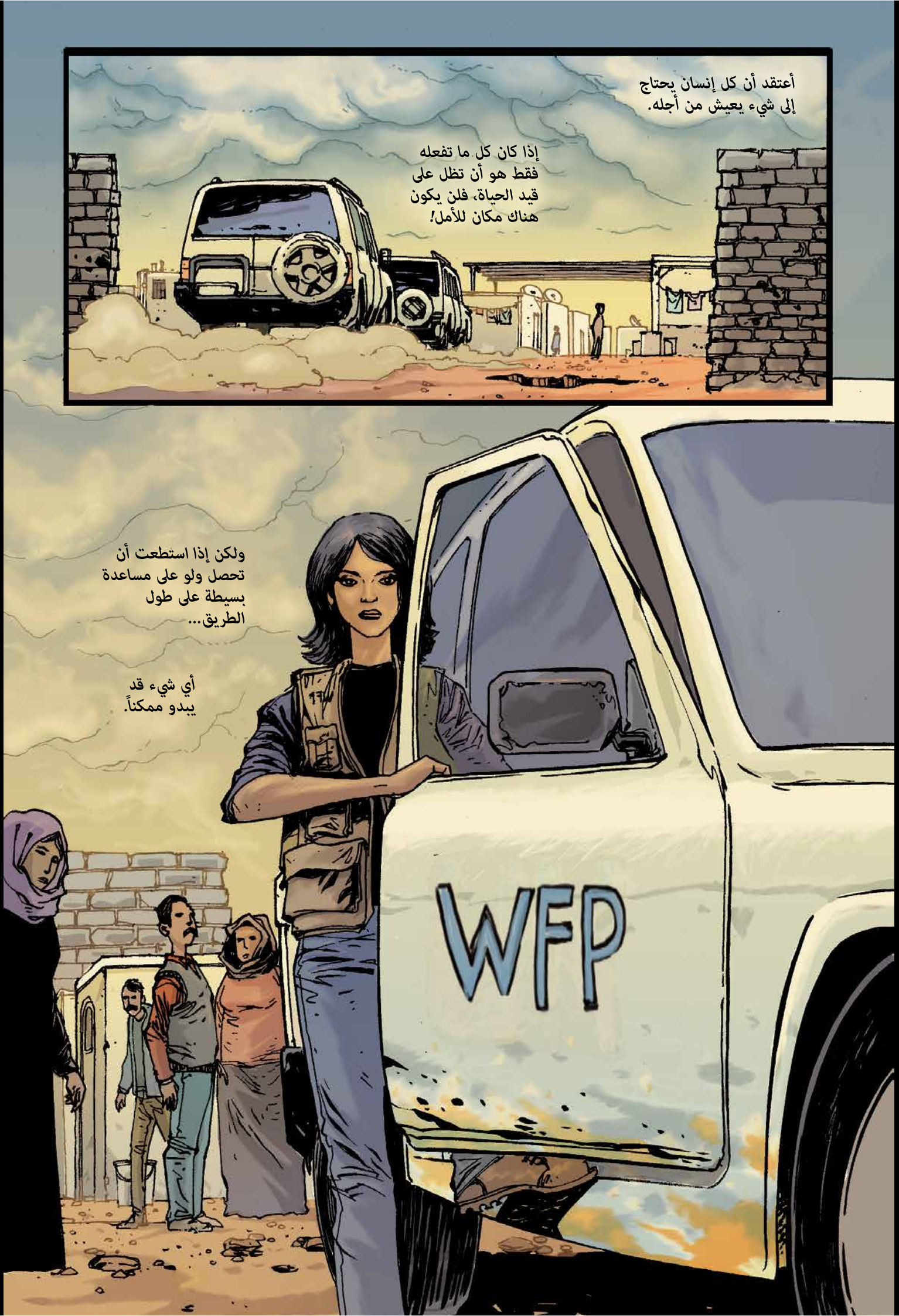
أعتقد أن كل إنسان يحتاج
إلى شيء يعيش من أجله.
إذا كان كل ما تفعله
فقط هو أن تظل على
قيد الحياة، فلن يكون
هناك مكان للأمل!
ولكن إذا استطعت أن
تحصل ولو على مساعدة
بسيطة على طول
الطريق...
أي شيء قد
يبدو ممكناً.
WFP

عندما سقطت الموصل في يونيو/حزيران 2014، كنت في أول زيارة لي إلى العراق.
هنا تأتي مفاجأة في اللحظة الأخيرة من أمي وأبي...(قاما بتغيير تذكرتي إلى الدرجة الأولى.)
لم أكن قد سمعت عن الموصل حتى وصلت إلى إسطنبول.
ثم سقطت تكريت في اليوم التالي.
عرفت هذا المطار من خلال رحلاتي لزيارة عائلتي في مصر. كان بمثابة البوابة إلى مغامراتي في طفولتي.
أشعر الآن أنه غير مألوف لي.
كانت الأضواء مبهرة جداً. كل شيء بدا نظيفاً للغاية.
فقط مركز تجاري على حافة الكارثة.
كنت أحتاج للخروج من هناك. أردت أن أكون مفيدة بشكل من الأشكال...
DUTY FREE
50% OFF

الجزء 3:
في العمل
أردت الذهاب إلى العمل.
مواجهات عسكرية داخل سنجار وفي محيطها. جميع العاملين في المنطقة عليهم المغادرة فوراً حتى إشعار آخر.
كنت في العراق منذ أقل من شهرين وها هو الأمر يحدث مجدداً. نحن الآن في مكان ما ليس بالقرب من سنجار...
ولكنها المرة الأولى التي أتواجد فيها بالميدان خلال شيء كهذا، لذا توجهت إلى السيارات.
مرحباً، جيس. ماذا نفعل؟
سوف نعود إلى مجمع الأمم المتحدة، لكي نعرف آخر تطورات الوضع.
نصراو، يا أفضل سائق في العراق! ماذا يجري هناك؟
داعش يتحركون في سنجار. أين جهازك اللاسلكي يا إيثان؟
يا رفاق، أنتم ستعيدونني إلى هنا.
يلا!
من هذا؟
أمر جيد أنه معنا.
WFP

مجمع الأمم المتحدة في أربيل.
عندما نعود إلى القاعدة، سوف يكون هناك عدة تقارير عن الوضع جاهزة بالفعل.
في إحدى الغرف، يحاولون الحصول على معلومات استخباراتية لمعرفة الحقيقة حول الوضع على الأرض في سنجار.
في غرفة أخرى، يهتم مسئولو الأمن في برنامج الأغذية العالمي بأوضاع موظفي الإغاثة الذين يقترب الخطر منهم الآن.
الرجل الذي لم يتحدث معنا طوال رحلة العودة بالسيارة يدخل الغرفة التي يعملون فيها على استراتيجيات توزيع الغذاء.
حسناً، إيثان. أنت هنا. أغلق الباب وراءك.
أنا موظف مبتدئ بقسم تحليل مواطن الضعف ورسم الخرائط، ولكن أنا أتعاون مع جيس ويوسف من فريق الإعلام.
سوف تبحث الصحافة عن قصص، لذا دعونا نساعدهم ونراقب الأمور...
إن واجبهم أن يجعلوا العالم يعرف ماذا يجري هنا.

ديسمبر/كانون الأول 2014.
بعد أربعة أشهر، لدينا مليوني نازح عراقي وربع مليون لاجئ سوري في شمالي العراق وحدها.
مبنى تجاري نصف مكتمل في أربيل، يأوي 940 شخصاً.
إنهم أطباء أسنان، ومهندسين معماريين، ومهندسين، وربات منزل، وعمال، وأمهات، وآباء، وأبناء وبنات.
ونحن نحاول أن نوفر الطعام لكل واحد منهم.
إن واجبي أن أخرج إلى الميدان وأشارك الناس وأن أستمع إلى همومهم وأن أعرف احتياجاتهم.
WFP
ثم أضيف ما لدى من معلومات إلى ما لدينا من بيانات عن أسعار الغذاء المحلية، ودراسات التغذية، وبيانات الأقمار الصناعية حول أحوال الطقس وما يتعلق بالأوضاع الأمنية.
الكل يعملون معاً لمساعدتنا لتجهيز أفضل الاستعدادات للأزمات الآن وفي المستقبل.

شمال العراق هو الجزء الوحيد الذي رأيته، ولكنه جميل. أفكر في مزرعتنا في نيويورك وأشجار التفاح هناك.

سوف نسافر اليوم إلى المنطقة الحدودية بين سوريا وتركيا والمناطق المحتلة، قبل أن يشتد البرد ونبدأ في فقدان كثيرين بسبب البرد القارس.

كنت في بغداد وشهدت "الصدمة والرعب". كنت أنا وأسرتي في ملجأ تحت الأرض..مكثنا هناك لعدة أيام.

"كان هناك فئران، ورغم أنها كانت خائفة، فإنها كانت نشطة جداً! وعندما يحين وقت النوم كان يتوجب أن يظل أحدنا مستيقظاً لإبعاد الفئران!"

"أخذنا معنا تليفزيون ومولد كهرباء هناك ولعبنا بإكس بوكس بالتناوب بينما كانت القذائف تتساقط."

من الصعب أن أشرح لك الأمر. أن ترى وطنك يتمزق.

أتساءل إذا كان سوف يعود مرةً أخرى. أحاول أن أفعل كل ما أستطيع للمساعدة.

بعد الغداء، اتجهنا إلى المعبر الحدودي لتركيا. كلما اقتربنا، كلما زادت حركة شاحنات الوقود وحركة الشاحنات من حولنا.

في مرات قليلة تخيلت أنني أستطيع أن أشم بالفعل رائحة غاز الميثان، ولكنه كان شعوراً خيالياً!

WFP

WFP

معبر إبراهيم خليل الحدودي.

تتدفق الأوتوبيسات هنا يومياً من تركيا إلى كردستان العراق لتحمل اللاجئين من مدينة كوباني السورية المحاصرة.

هرب هؤلاء الناس من سوريا إلى تركيا ولكنهم الآن يأملون أنهم سوف يكونون في حال أفضل في العراق.

هنا يتم إعطاؤهم الطعام والأدوية ومكان للنوم أثناء الليل، ثم يتم وضعهم في الأتوبيسات.

قبل أن نغادر كردستان العراق دعانا رئيس مركز الشرطة الحدودي لتناول الشاي في مكتبه.

على الحائط هناك لوحة لرئيس إقليم كردستان العراق برزاني مع بوش في عام *2005*.

أخبرهم جيس أننا سوف نبذل أقصى ما في وسعنا ولكننا نعاني من نقص في التمويل وهذا يؤثر على كل شيء.

اليوم هو يوم علم كردستان وهناك عروض لاحتفالاتهم الوطنية على شاشة تليفزيون كبيرة أمامنا.

ثم ذكر لنا رئيس الشرطة أن البيشمركة لا يزالون يخرجون الناس من جبل سنجار.

الآن، معظم هؤلاء هم من كبار السن والمرضى أو الذين بقوا بسبب المبدأ.

وهذا هو المكان الذي سوف نذهب إليه الآن.

بعد عدة ساعات، وبينما نقترب من القاعدة، رأينا مروحية تابعة للبيشمركة على وشك الهبوط. أسرعنا للحاق بها.
WFP
WFP
WFP
فاتنا هبوط المروحية ولكننا التقينا الأيزيديين الذين وصلوا مؤخراً بعد نزولهم من منطقة هبوط المروحية.
عادةً، تقوم المفوضية السامية لشئون اللاجئين بتسجيلهم ويقوم برنامج الأغذية العالمي بتقديم الطعام لهم. كما قد تتوفر أوتوبيسات لنقلهم.
WFP
WFP
ولكن عندما وصلنا لنقطة الهبوط عرفنا لماذا لم يتم تنبيهنا.
إنهم وسط نوع من الانتشار العسكري.
WFP
أعثري على شخص مسئول هنا يا ليلى، وتأكدي إذا كانوا سيحضرون مزيداً من الناس من الجبل اليوم.
ماذا يجري هنا؟

لا. ليس اليوم. ولكننا أنقذنا مجموعة من الأطفال من أرض العدو منذ حوالي أسبوع.
لقد هربوا بطريقتهم. أطفال شجعان. بعض الآباء من دهوك كانوا هناك للقائهم.

الناس يتنقلون. لكل واحد منهم قصة.
حقاً؟ ما هو اسم العائلة الخاص بك؟
إذا كانوا مسجلين معنا، ربما يمكنني أن أجدهم من خلال مكتبنا الفرعي في دهوك.

لم نكن نعرف ذلك حينها، ولكن هؤلاء الرجال على بعد ساعات فقط من معركة سنجار التي سوف تواجه سيطرة المتمردين على الجبل.

سوف يكون أول نصر حاسم حقيقي على داعش في العراق حتى الآن. سوف تحتل المعركة عناوين الأخبار في الصحف العالمية.

بعض هؤلاء الرجال لن يكونوا على قيد الحياة بنهاية اليوم، ومن حسن الحظ أن عددهم قليل جداً.
17 ديسمبر/كانون الأول 2014

أهم شيء يمكنك القيام به كي تبقي إنسان على قيد الحياة هو أن تقدم له طعاماً.

هذه المهمة تأخذ أشكالاً متعددة. بعضنا يسافر بالطائرة، ينقل الغذاء وينظم المخيمات.

والبعض الآخر يجمع القصص.

تعلمت عندما أحكي حكاية أو قصة عايشتها، لابد ألا أغفل الجانب الإنساني للقصة وأن أتذكر دائماً أن أصحاب تلك القصص هم بشر وليسوا مجرد أرقام.

هذا أيضاً جزء أساسي من البقاء حياً.

WFP

ولهذا هناك أكثر من مليوني إنسان يعانون هنا في شمال العراق، لكل منهم حكاية مؤثرة.

WFP

أنا أتتبعهم. أبحث عن قصصهم.

تتملكني الرغبة في سماع كل شخص منهم.

اسم الطفل الأيزيدي ناصر.
اسم والدته حكيمة ووالده خالد.

داعش اختطفوني أنا وأختي الصغيرة **شيرين** من والدي ووالدتي...

حيث كان القتال لا يزال دائراً.

تم إعادتنا إلى وطننا مدينة **سنجار**.

أنا ليلي .. أنا هنا لأحصل على شهادة ناصر، سأنقلها للمنظمة التى أعمل بها، أعتقد إنها سوف تسهم فى كشف الحقيقة بشكل أفضل.

معي فريق الإعلام التابع لنا في العراق ومترجم كردي من مكتب دهوك.

نحن في حاوية شحن تم تحويلها إلى مسكن، وهي منزل عائلة ناصر الآن.

الجزء 4:
قصة طفل

وضعونا مع رهائن آخرين في منزل شخص غريب عنا. منزل أيزيدي. مات صاحبه على ما أعتقد.
داعش كلهم لصوص. إنهم مثل المافيا في الأفلام الأمريكية. بل إنهم أسوأ في الحقيقة.
في أول ليلة، أخذ رجال داعش عدة فتيات إلى الحمام.
ناصر!! ماذا يحدث؟!
عندما خرجت شيرين كان شكلها مختلفاً. لم تعد تتحدث إلى ناصر. ولم تدعه يلمسها.
في اليوم التالي، تم أخذ السجناء الرجال إلى الخارج، إلى الفناء الخارجي.
طااخ
كنت أخشى أنهم سوف يقتلوننا بعد ذلك.

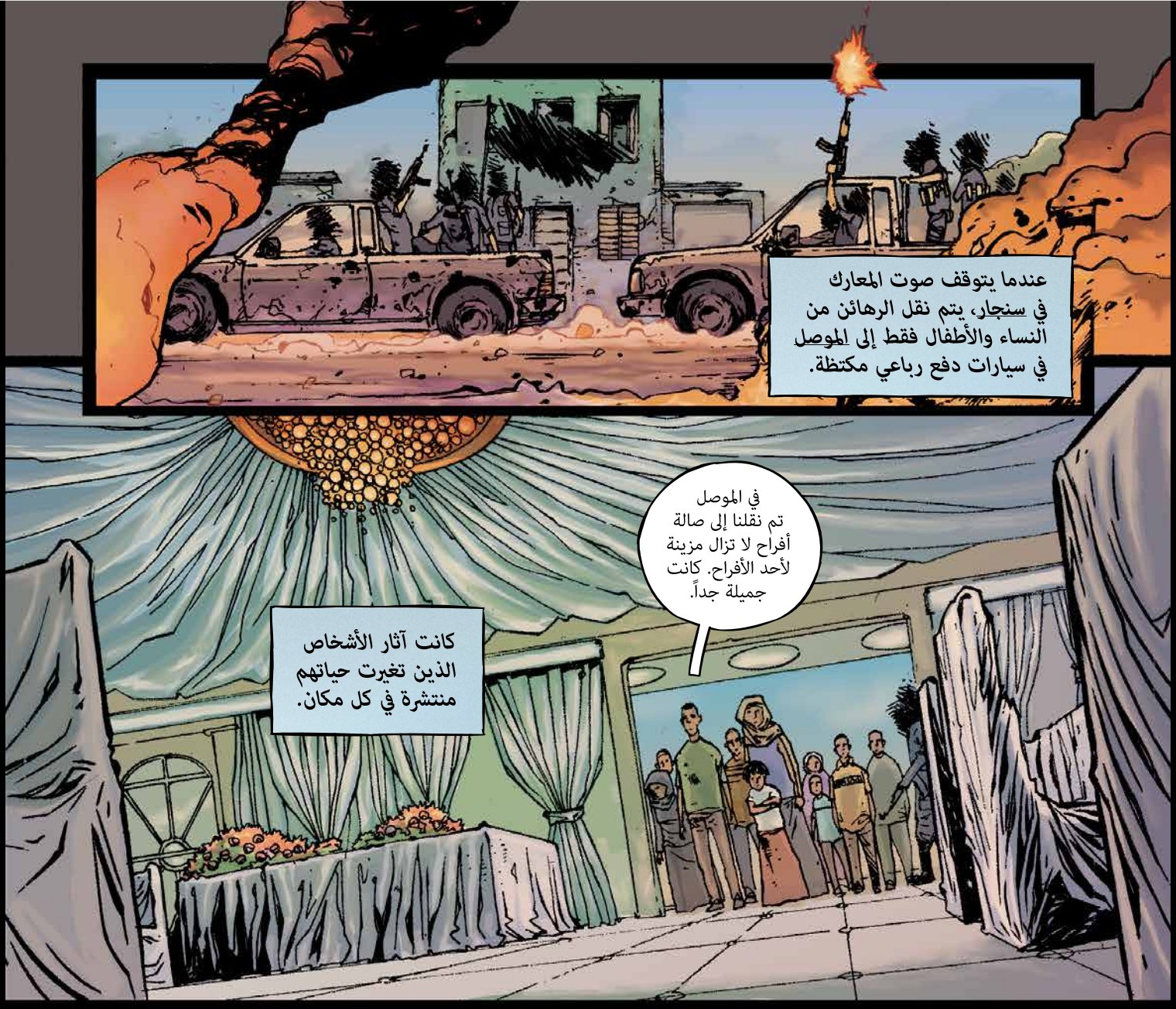
عندما يتوقف صوت المعارك في سنجار، يتم نقل الرهائن من النساء والأطفال فقط إلى الموصل في سيارات دفع رباعي مكتظة.
في الموصل تم نقلنا إلى صالة أفراح لا تزال مزينة لأحد الأفراح. كانت جميلة جداً.
كانت آثار الأشخاص الذين تغيرت حياتهم منتشرة في كل مكان.

هنا تم فصل النساء والفتيات عن الأولاد.
تم أخذ شيرين مرةً أخرى. ولكنها هذه المرة لم تنادي على اسم ناصر.
هذه الليلة، كنت أسمع صوت العديد من الأولاد الآخرين يبكون.
ولكن ناصر قال إنه لم يكن يبكي.

في صباح اليوم التالي وضعوني مع مئات من الأولاد الآخرين لم أرهم من قبل في حافلات.
تم نقل ناصر إلى مدينة تلعفر، إلى مدرسة محاطة بسياج من السلك الشائك.
بقية وقته هنا كان يتم إطعامه خبز فقط مرتين في اليوم.
هنا يتم إلباسهم كلهم ملابس سوداء.
انظر، لا يزال لدي السروال الذي أعطوه لي. إنه رائع فعلاً.
لقد أجبرونا على أخذ دروس في القرآن. كان علينا حفظ جزء كل يوم. إذا لم أتلو الجزء الخاص بي بصورة سليمة تماماً، كان يتم عقابي.
أنا أعرف اللغة العربية ولكني أتحدث الكردية فقط. لذا غالباً كنت أخطئ في نطق القرآن.
بينما كان ناصر يخبرني بذلك، كنت أفكر في جدتي، التي كانت تقرأ لي آيات من القرآن خلال زياراتي الصيفية إلى مصر.
..."فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون..."
وكنت أفكر في السكينة التي كانت تبعثها في داخلي.

في بعض الأحيان كانوا يأخذون بعضنا إلى الطريق السريع في الخارج لكي يحاولوا تدريبنا!
كان ناصر يحب البندقية.
إنها تعطيه إحساس بالقوة عندما تمر به لحظات ضعف.
طااخ
طااخ
طااخ
طااخ
حمار!
صفعة
توقف عن أحلام اليقظة.
كنت أسمعهم يتحدثون. لا دروس اليوم لأن معلمنا قتل في الحرب.
جيد
ليلى: من الواضح لي أن العنف هو مثل الفيروس. شديد العدوى.

دروسك سوف تتوقف لفترة من الوقت، يا ناصر، ولكن إذا غيرت ديانتك الآن، سوف نسمح لك بالعودة إلى أسرتك.
تعال، دعنا نصحح علاقة روحك بربك.
إذا أعدتموني أنا وأختي إلى أمي وأبي سوف أغير ديانتي.
بعد أن رفض تغيير ديانته، توقفت تدريباته العسكرية (بينما تم تكثيفها للبعض الآخر).
وأصبح الضرب أكثر قسوة.
خلال شهر واحد، حاول ناصر الهرب مرتين وفي المرتين، تم القبض عليه.
كان الضرب في المرة الثانية مرعباً له أكثر.
أثناء تلقيه التعذيب الشديد، كان ناصر يسأل نفسه إذا كانت هذه ستكون نهايته.
بعد تلقيه الضرب الشديد لم يكن قادراً على الوقوف على قدميه، ولم يكن قادراً على النوم أثناء الليل من شدة الألم.

كل ليلة كنت أقوم بتدليك الاصابات التي لحقت بظهر ناصر بسبب التعذيب، لأعاونه في الشعور براحة تساعده على النوم.
ولكنه في الواقع لا يستطيع النوم. لا ينعم بنوم جيد. إنه يرفس في الظلام. وكأنه يحارب أشياءً أثناء نومه.
ولكن بعد ذلك في نوفمبر/تشرين الثاني ذهب جميع الرجال فجأة للقتال وتركوا الأولاد فقط، الذين دربوهم لحراستنا.
هيا، دعنا نغادر، فليطلقوا علينا النار إذن!
توقف! لا تذهب!
لا بد أن الأمور قد ساءت بالنسبة لداعش في المنطقة في ذلك الوقت وأصبح وضعهم ضعيفاً للغاية.
انتظر! ناصر!
خذ هذا الهاتف. نحن الذين نعمل في المطبخ لدينا الكثير منها.
نحن نخبئها في أجسامنا، في أماكن لن يفتشوا فيها امرأة مسلمة صالحة.
الآن اذهب في أمان الله.
سارت مجموعة الأولاد حتى البوابة.
توقفوا جميعاً!! وإلا أطلقت النار!
استمروا في السير!
رجاءً! سوف يقتلوننا جميعاً أنت ونحن إذا سمحنا لكم بالهرب. لن تنجح بالهرب منهم أبداً!

بينما كنت أهرب نظرت خلفي لمرة واحدة بسرعة.
ربما كان يفكر أنه مع كل خطوة، كان يبتعد عن أخته أكثر.
لم يقل أي أحد في الغرفة ما كنا نعرفه. على الأرجح تم بيع شيرين كزوجة في سوريا...
أو أن مصيرها كان أسوأ، أسوأ بكثير.
كان الأولاد الهاربون يختبؤون في الجبال نهاراً ويسيرون ليلاً.
عندما حصل ناصر على إشارة في هاتفه الخلوي، اتصل بوالده.
بابا؟
ناصر!!
اتصل والد ناصر بالبيشمركة، وهم مقاتلون أكراد من العراق.
ها هم هناك.
رتب البيشمركة لأخذ الأطفال من عند مصنع أسفلت مهجور على بعد خمسة وعشرين ميلاً من مكان الأطفال.

عندما عدنا إلى منزل الأسرة في حاوية الشحن، سألني والد ناصر...
"كيف يمكنني أن أضم طفلي بشدة وبحب دون أن أؤلمه؟"
"كم من الوقت سوف تحضنه قبل أن تتركه؟"
"هذه هي الأسئلة التي مرت بعقلي عندما احتضنت طفلي على ذلك المهبط".
أنا لا أعرف مكان شيرين. أنا آسف للغاية، لم أستطع أن أحميها.
لا أستطيع أن أتخيل مقدار المزج بين الحزن والسعادة اللتان كانوا يشعرون بها في تلك اللحظة.
ولكن عندما هبط من المروحية، كان في وجهه كدمات وكان يعرج وهو يسير إلينا، أول شيء فكرت فيه كان..
أي أهوال فشلت في منعها عن أطفالي؟
سوف أحاول أن أجد خدمات لمساعدة ناصر في علاج ما بعد الصدمة وتأهيله بدنياً. ولكن الموارد الآن شحيحة. لن يكون الأمر سهلاً.

ماذا كان شعورك ناصر عندما رأيت والدتك ووالدك؟
كما لو أنني ولدت من جديد.
بالأمس بدأ البيشمركة العمل الصعب لكسر الحصار عن سنجار. هل أنت سعيد بالعودة إلى الديار؟
لقد سئمت من الديار. لقد كان الأيزيديين يتعرضون للاضطهاد باستمرار هنا. نحن غير مرغوب فينا.
WFP
آمل أن آخذ أسرتي إلى أوروبا. أريدهم أن يذهبوا إلى المدرسة. إلى السينما، أن يأكلوا عندما يشعرون بالجوع، أن يعيشوا حياة طبيعية.
ليس مثل هذه الحياة.
غداً سوف أسمع قصةً أخرى، واليوم الذي يليه سوف أسمع قصةً أخرى، وهكذا.
وكل قصة سوف تنتهي بملاحظة مماثلة.
أنه بالتأكيد، وبطريقة ما، وفي مكان ما...
يمكن أن يكون العالم مكاناً أفضل.

برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة هو أكبر منظمة إنسانية في العالم لمكافحة الجوع. يقوم البرنامج بتقديم مساعدات غذائية في حالات الطوارئ ويتواجد دوماً على الخطوط الأمامية للصراع. في كل عام، يساعد البرنامج حوالي 80 مليون شخص في نحو 80 بلداً.

يوجد حالياً أكثر من 3.2 مليون نازح عراقي و245,000 لاجئ سوري في العراق.

جميعهم بحاجة ماسة إلى الغذاء.

معاً من أجل مستقبل واحد #بلا_جوع بحلول عام 2030

***

الحياة في ظل المستوى الثالث من حالات الطوارئ هو عمل من وحي الخيال تمت كتابته بالتعاون مع برنامج الأغذية العالمي. تستند الرواية إلى مقابلات وملاحظات تم جمعها من قِبل المؤلف خلال رحلة إلى كردستان العراق في ديسمبر/كانون الأول من عام 2014.

المؤلف: **جوشوا ديسارت**
الأعمال الفنية: **ألبيرتو بونتيتشيللي**
ألوان: **بات ماسيوني**
الخطاط: **توماس ماور**
حررت بواسطة جوشوا ديسارت وروبيرت نابتون

الحياة في ظل المستوى الثالث من حالات الطوارئ هو عمل فني قام به جوناثان دومون، وجوشوا ديسارت وبرنامج الأغذية العالمي وفكرة العمل من جواكينو جارجانو.

ونتوجه بالشكر لكريستينا أسكوني ودينا القصبي، وفريق برنامج الأغذية العالمي في إربيل ودهوك، ومحمد البهبهاني، ومروة عوض، وكلوي كُرنيش.

حقوق النشر© برنامج الأغذية العالمي 2016.

الحياة في ظل المستوى الثالث من حالات الطوارئ: العراق

WFP.ORG/LL3

WFP
برنامج الأغذية العالمي
wfp.org/ar